المباراة الأدبية

# استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

للآنسة فتحية عزمي

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى ثمار الفورة الوطنية المباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩ ؛ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه ، وخلقت روحاً جديداً من الدطور في كل مرافقه ، فان مصر هي الأخرى قد جنت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جليا في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة . وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد العتيقة المرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل المخيم والخمود الطويل ...

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد « سعد » العظيم في صُور الثورة فلبت مع الملبين ، وترامت في ميدان الجهاد مع المتراميين ، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النقاذ خدور العذارى والسيدات إلى حيث النداء والتضحية ، وكيف أن المرأة المصرية الحيية الساذجة قد القت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل ، تشد عضده بظهرها الحامي الجريء ، وتبعث في نفسه روح البسالة والاقدام ، فيسارع الى الموت باسماً لا ينكص ولا يتزعزع ، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذياك العام المجيد صفحة فخار ستبقى خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحرية ، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال السحيقة يوم تبعت رجلها في الحروب تؤازره وتشجعه وتنشد خلفه أناشيد الحماسة والنصر فيشتد ساعده ويثبت جنانه فلا يتجلجل ولا يتحلحل الا إلى نصر محقق حيث يعود إليها مزهواً باكليل الظفر ، أو إلى قبر في الفلاة موحش حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود . . .

فنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة ، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك الطفرة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة ، وهنا يحق لنا أن نحني الرأس في هذا المقام اجلالا لذكرى زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما ننعم فيه الآن من نهضات عمت مرافقنا الحيوية ، ثم نحيي في جنانه الهامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحي والتضحية الفادحة والعمل الخالد المقيم . . .

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تسير سيرها الحثيث نحو التقدم المنشود ففتحت أمامها موارد العلم تغترف ما شاءت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضعاها في مستوى زميلتها الغربية ، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقا ؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة ؟ ؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد بلغ شوطاً بعيداً وخاصة في الأعوام القلائل الأخيرة ، فمنا الآن الأديبات والطبيبات والحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة العالية نصيباً وافرا ، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم تدريجيا الى الاهمال ، فلشؤون المنزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درسا وافيا ، كل ذلك أضحى في نظر سيداتنا وخاصة المثقفات منهن شيئا ثانويا أولى منه اتقان أدوات الزينة والجري وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دي سكودزاي علينا : « ان فتاة تنسى النظر الى السماء لا تحسن شيئا على الأرض ! ! »

« إن النساء أتين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فانهن يظهرن بمظهر مزعج » كلمة صريرة قالها موليير عن المرأة ، وهي وإن كانت تهكما لاذعا كاد صاحبها يخرج بها إلى حد المغالاة ، أو جاوزها فعلا ، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل . وانه لخليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينيها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أتمها خالصة في سبيل الله والواجب ، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة . أما أن

تعو[illegible] الفرعية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التي فطرت كل شيء لغرض معين وهيأته لرسالة محدودة

في يقيني أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر في شيء واحد وهو : تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن ؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندنا قد قامت على تعليمها فأحر بنا أن نستغل هذا التعليم لتمهيد سبل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش ، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما في هذه الكلمة من معنى سام جليل ؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعددنا للوطن أشبالا تنفذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى الدين الى سواء السبيل

صدقوني أنا لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة العالية بقدر حاجتنا الى الأم الصالحة أو « المدرسة الأولى » كما نعتها الكتاب والشعراء قديما ، وهاهي في البلاد تئن من أقصاها الى أقصاها من كابوس البطالة الذي يجثم على أنفاسها ويزداد هولا يوما بعد يوم باطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها ، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل ، فبماذا يمكن إذاً استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟؟

ليس هناك سوى رد واحد على هذا السؤال ، هو ما قلته ، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعي المعنوي الذي ذكرت لا الاستثمار المادي كما يمكن أن يفهم من كلمة « الاستثمار » وذلك لأن هذا الاستثمار المادي الأخير نحن في غنى عنه بما لدينا من أيد عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة ، وعدا ذلك فان استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعيا يركز حياتنا العامة ويسيرها في طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار الغرب التي يحملها الينا البريد الأوربي الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئه في قصر تعليم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالغرض الأساسي الذي خلقت له ؛ فهذي الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وها نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضعان في جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى سالف عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال ، ومنذ ما أمكن من تعاطي أعمال الرجال . وقد قرأنا للأستاذ محمد كرد ملخصاً لكتاب ظهر أخيراً في فرنسا حول هذا الصدد للدكتور روبرتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : « إن رفعة المرأة بلية صدرت الينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال ، وكان هذا النفوذ النسائي من كل غريب يكفي أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركيب الفرنسي » وقال روبر كيبو : « من السهل الدلالة على أن دعوى رفعة شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكي فاما نرانا نسلم فيها على أفكار اشتراكية بعينها ، وعلى معان لهم وتغيرات ، وكلمات ما برح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كاذبة ولا تزال مألوفة لهم ، وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فهي موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترمي اليه إدخال أدنى إصلاح في النظام الاجتماعي » وقال الثالث تينار « إن حقوق النساء وتحريرهن الأدبي هذا حسن وجميل ، ولكن يا سيداتي حررن أنفسكن أولاً من الخياطة ، فان لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالبن إلى أن تحصلن على ما بقي » وقد استعرض المؤلف في كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلاً دقيقاً عاب عليها عنايتها بثقافتها دون الغرض الرئيسي الذي هيأتها له الطبيعة . من هنا نرى أن أعرق الأمم الغربية في النهضة النسوية قد بدأت تتحسس مدى خطئها في توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يعد بين هاته الدول من أخذتها هذه المدنية الطاغية عن جادة الطريق سوى تركيا الحديثة التي خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم المتمدن سوى هذه الغلطة الاجتماعية النسائية فأبت إلا أن تشرع الكأس حتى الثمالة ، وما أشك أنها ستجني ثمرة هذا التقليد الأعمى علقما وصابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا جبلاً عن غرة زلجا

ولنتدبر نحن في المستقبل قبل أن نخطو اليه ، ولنتبين من أي طريق تسوق المدنية الغرور ، ولنستمع صوت الطبيعة الناهض تصرخ في وجوهنا : لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسرة وتكمل الشطر الثاني من حياة الرجل ، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية ، فلا يخلبنكم بريق المدنية الخادع الكاذب